

المرأة والرجل بين المقام والمهام

أ. د / عبد الله بن خالد آل خليفة

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

البحرين

تقديم:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴾
(الأنعام: ١)، والصلاة والسلام على سيد الخلق، وحبیب الحق، سيدنا محمد وعلى آله الأطهار، وأصحابه الأبرار، ومن تبعهم بإحسان ما بقى الليل والنهار.

وبعد...

فإننى بالأصالة عن نفسى ونيابة عن مملكة البحرين والمجلس الأعلى للشئون الإسلامية أتقدم بين يدي هذا البحث بشكر خالص لجمهورية مصر العربية: حكومةً وشعباً، ووزارة الأوقاف خاصة على هذه الرعاية المستمرة للمؤتمر السنوى الذى يجمع الأخوة والأشقاء من كل بلاد العالم، يبحثون قضية محورية، جدُّ ضرورية فى واقعنا، وقد آثرنا أن نقدم هذا العام بحثاً بعنوان "المرأة بين المقام والمهام"، سعياً إلى تجديد الخطاب الدينى، وتقريب الخلاف بين الاتجاهات المتباعدة حول قضية المرأة.

وقد أكد هذا البحث على أهمية الاتفاق على أن الرجل والمرأة متساويان تماماً فى المقام، متكاملان وإن اختلفت المهام، وقدم البحث نوعين من الخطاب: خطاب التأسيس لمن لا يؤمن بالنص، حيث قدم من الأدلة العقلية ونتائج الأبحاث العملية والإحصاءات الميدانية ما يؤكد اختلاف الرجل عن المرأة فى التكوين الجسمى والعقلى والنفسى والوظيفى. أما خطاب الترسخ فقد اعتمد النص من القرآن فى استقراء وإحصاء كل المواضع التى أشارت إلى المرأة سواء كان نصاً جلياً أو تضميناً جلياً أو خفياً؛ ليؤكد بجلاء أن المهام الأصلية التى تقوم بها المرأة هى الزوجية والأمومة، ولا حرج من المشاركات العامة مع التزام الضوابط الشرعية وعدم التأثير على واجبات الأمومة



والزوجية.

وإننا لنرجو أن يكون لمثل هذه الأبحاث أثرٌ في إعادة بناء أبنائنا وبناتنا وتعديل خطابنا إلى الإطار الوسطى الذى يقاوم التحجر من جانب والتحلل من جانب آخر؛ لننتهى جميعا إلى وسطية الإسلام فى وحدة المقام وتكامل المهام؛ لنعالج الأفكار الراكدة والتطبيقات الفاسدة لنكون بحق أمة شاهدة رائدة. والله ولى التوفيق...

المقدمة:

جوهر الخلاف فى قضية المرأة:

الحمد لله الذى خلق الذكر والأنثى، وخلق فسوى، وقدر فهدى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أسمى من استوصى بالنساء خيرا، وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وبعد،

فأعتقد أنه لم يخلُ دين أو ثقافة أو حضارة أو قانون من الحديث عن وضع المرأة مع الرجل حقوقا وواجبات، وأن مساحة الاختلاف قديما وحديثا تبدو شاسعة فى عالم يتصاغر ويتقاصر بسبب سرعة الاتصالات وثورة المعلومات ووفرة الفضائيات، ففي عالمنا ألوان من التحلل والتحجر فى قضية المرأة تذهل العقل وتؤرق النفس، فعلى حين لا تزال جماعات متحجرة ديانة أو عرفا، فترى أصل وجود المرأة بلية، ومن يعتقد أن وجودها ضرورة لبقاء وإصلاح البشرية، وهناك من يرى أن صوتها عورة، بل ما تزال بعض النساء ترى أن وجهها عورة حتى على زوجها، ومن يرى أن كل جسم المرأة ليس بعورة فتعرض بلا ثمن فى الشاشات والإعلانات والحانات، وهناك من يقدم مهرا للزوجة، وهناك زوجات يدفعن المهور، كما أن هناك اغتصابا بلا رحمة، وهناك من يتسلط على امرأته، وهناك من تتسلط على الأسرة كلها، وهناك نظم عديدة تنسب الأولاد إلى الأب، وهناك من ينسب الأولاد إلى الأم، وهناك مئات الملايين من الأولاد لا يعرفون لهم أباً أو أمّاً، وهناك نساء تدير دولاً ووزارات كبيرة، ويعجزن عن إدارة عش لأسرة صغيرة، هناك من تخرج وقتما تشاء حيثما أرادت، وهناك من يطالب ألا تخرج المرأة إلا ثلاث مرات: من بطن أمها وإلى فراش زوجها وإلى منتهى قبرها.

وهناك مطالبات بعالم أنثوى خالص ليس فيه رجل، وستخرج دعوات مقابلة ستطالب بعالم رجولى خالص، وهناك نساء غربيات تقود - فوق رؤوسنا - طائرات عسكرية، ولا يسمح لنساء مسلمات - على أرضنا - أن تقود سيارتها المدنية.

وإذا تحاور أنصار هذه التناقضات ازدادت الهوة واتسعت الفجوة، وطارت الفكرة وكأنك تتحاور بين كوكبين أو عالمين مختلفين شكلاً ومضموناً، مبنى ومعنى، ولا يزداد كلاهما إلا بعدا عن الآخر، وتعمق الهوة بين التحلل والتحجر، والذي يقع عليه أوسع الضرر آنئذ في جميع الأحوال هو المرأة في أنوثتها الرقيقة، ويؤثر هذا بالتالى على الرجل والطفل والأسرة والمجتمع والأمة.

أحسب يقينا أن مفتاح المقام والمهام يمكن أن يفك هذا الاشتباك وأن يقرب هذه الهوة، فإذا جئنا إلى الحوار فلنتفق سلفاً، هل نتحدث عن المقام أم المهام؟ فمقام الطفلين عند أبيهما واحد، ومقام الطلاب عند أستاذهم واحد، ومقام كل مواطن أمام القانون واحد، لكن هذا لا يعنى أبداً أن تكون المهام واحدة لجنس البشر جميعاً، فلكل ولد أن يختار طعامه وشرابه ولباسه، ولكل طالب أن يختار تخصصاً يبرع فيه ويتوافق مع ملكاته، ولكل مواطن أن يختار الوظيفة التى تناسبه والدور الذى يستطيعه والموطن الذى يسكنه داخل الوطن الواحد.

وفيما يلى بإذن الله نعتمد خطابين نتوجه بهما إلى قادة النخبة والأمة معاً، فمن كان لا يؤمن بالنص وجهنا إليه خطاب التأسيس بالدليل العقلى الذى يوصلنا معاً إلى صحة الدليل النقلى، أما خطاب الترسيح فهو يتوافق مع منهجية: ﴿أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَكِنَّ لَكُمْ عَلَىٰ أُلُوفٍ مِّنْ عَشْرٍ مَّوَالٍ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَمَن يَصْرِفْ فَذَلِيلٌ﴾ (البقرة: ٢٦٠)، فنورد النص أولاً ثم تكون الأدلة العقلية ترسيخاً للإيمان بهذا النص.

وقد استقرأت القرآن الكريم كله فى (ختمة تدبر)، بحثت وجمعت النصوص المتعلقة بالمرأة تاركاً للنص أن يحدد الرؤية الصحيحة للمرأة كما أرادها الله تعالى، وأشفتها بقراءة وصفية تحليلية لأنتهى فى الأخيرة إلى ضرورة التخلية عن جميع الأوهام التى عشتت فى عقول ووجدان الكثير من أبناء جلدتنا مفكرين وعوام لنستقر على شاطئ هذا القرآن وسنة النبى ﷺ ونعيد بناء الإنسان "رجلاً أو امرأة" متساويين تماماً فى المقام، متكاملين وإن اختلفا فى المهام.

أدعو الله أن يكتب لنا أجر المصلحين، وأن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى أجمعين.

أ.د. صلاح سلطان

والله ولى التوفيق..

مدخل تعريفي: بين المقام والمهام:

المقام هو المكانة، والمهام هي الوظيفة، المقام هو القيمة، والمهام هي القدرة على الإنجاز، المقام هو المنزلة عند الله تعالى ثم النفس ثم الناس، والمهام هو الدور الذي يجب أن يقوم به ليرضى الله ويسعد في الدنيا والآخرة، المقام هو الكرامة، والمهام هي المهمة التي يجب أن أقوم بها، المقام هو منحة السماء لكل بنى آدم، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠). وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤)، والمهام هي تصرف الإنسان بما يحفظه في أعلى عليين، أو يرتد إلى أسفل سافلين، المقام يتعلق بالإنسان أيًا كان بصرف النظر عن جنسه أو لونه أو حسبه ونسبه، لقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ (النساء: ١)، ولما أورده محمد بن سلامة الشهاب القضاعي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس كأسنان المشط»^(١)، ولما أورده السيوطي من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «كلكم بنو آدم، و آدم خلق من تراب، لينتهين قوم يفتخرون بأبائهم، أو ليكونن أهون على الله من الجعلان»^(٢)، فجميع الناس يشتركون في أمرين كما أوضحت الآيات والأحاديث: رب واحد وأصل واحد، أما المهام فسباق نحو الخير أو الشر من فعل الإنسان لقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمَلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ^ط وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ (الجاثية: ١٥)، ليكون الميزان قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾ (الحجرات: ١٣)، فالمقام يرتبط بكون الرجل والمرأة أصلاً إنساناً، أما المهام فتربط بكون جنس المرأة يقابل جنس الرجل، لقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ (آل عمران: ٣٦).

المقام مثل الزمن، والمهام مثل الليل والنهار، ففي المقام لا تفضيل بين الليل والنهار، فالليل راحة وسكن، والنهار سعي وعمل، وهما متكاملان، ويوضح ذلك ما قاله الشيخ الشعراوي: "كلمة امرأة تعني أن لها مقابلاً وهو رجل، وامرأة تعني أنثى ورجل يعنى ذكر، يجمعهما جنس واحد وهو الإنسان، فإذا انقسم جنس واحد إلى نوعين، فلا بد أن يكون لأداء مهمتين، مثل الزمن جنس يشمل الليل والنهار ولم يأت النور ليعارض الظلام"^(٣).

يتساوى الرجل والمرأة تماماً في المقام، ويختلفان ويتكاملان في المهام وفق منهجية الإلتقان لما يحسنه بناء على قدراته وملكاته التي فطره الله عليها، المقام يجعل عدل الله أن يسوى في الأجر بين الرجل والمرأة إذا فعلاً شيئاً واحداً مثل الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، لكن المهام تجعل للمرأة أحكاماً في الصلاة والصيام والحج يختلفان فالمرأة لا تلبس في الإحرام مثل الرجل وتحتاج

لمحرم غير الرجل، وكلُّ ينال الأجر نفسه إذا التزم دقة الاتباع للهدى النبوى كلُّ على حدته، كما قال تعالى: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ بَعْضُكُمْ مِّنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ (آل عمران: ١٩٥).

وأستطيع تقسيم الناس بالنسبة لقضية المرأة فى المقام والمهام إلى ثلاثة أنواع:

المعتدلون (الوسطيون إسلامياً)	المتحللون (العلمانيون)	المتحجرون (المتشددون دينياً، المقلدون عرفياً)	
المرأة تساوى الرجل	المرأة تساوى الرجل	المرأة دون الرجل	المقام
المرأة تتساوى فى بعض وتختلف فى أخرى وفقاً للشريعة.	المرأة تتساوى تماماً فى الدور مع الرجل انطلاقاً من طبيعتها وتكوينها.	المرأة تختلف تماماً فى دورها عن الرجل.	المهام
- المرأة والرجل مكرمان من الله (رب واحد وأصل واحد)، وهو حق وليس منحة من أحد. - يتساويان فى الكرامة، فى التكليف، فى حق الحياة، فى المسؤولية، فى الحدود والعقوبات الشرعية، فى حق التملك والتصرف وحق الانتخاب والمشاركة فى الجوانب التى تتناسب مع إمكانات كل منهما. - يختلفان فى بعض الجوانب الجسدية، والعقلية، والنفسية، وفى أحكام اللباس والزينة والقوامة والتعدد والشهادة وتولى الوظائف العامة.	- تبرج، سفور، عري. - تعامل واختلاط بلا ضوابط. - سفر بدون استئذان. - رفض القوامة والولاية والاستئذان. - احتقار لدور الزوجية والأمومة. - اتفاقية سيداو، وثيقة مؤتمر السكان فى القاهرة، مقررات مؤتمرات الصين وتركيا وما بعدها، اتفاقية حقوق الطفلة الأنثى (إباحة الشذوذ والتضييق على الزواج). - ترسيخ مفاهيم الجندر. - إثارة الشبهات على الثوابت الشرعية والأعراف الاجتماعية.	- أدبيات تحتقر المرأة. - اسمها وصوتها عورة. - خروجها فتنه. - عقلها قاصر ورأيها باطل. - نفسها شريرة. - دورها الأساسى فى الفراش وتبعاته. - الولاية والقوامة تسلط على المرأة. - منعها من اختيار زوجها. - منعها من تملك المال أو التصرف فيه. - منعها من التصويت فى الانتخابات والمشاركة. - منعها من التعليم الكافي. - تحريم عملها خارج البيت. - يحرم التعامل مع غير المحارم.	مظاهر الاختلاف



النتائج			
	-تدهور وتخلف حضارى وإنسانى واجتماعى. -عدم ثقة المرأة بنفسها وتهميش دورها. -أطفال مقلدون. -رجال ونساء ومجتمع متخلف روحيا، وأخلاقيا، وعلميا، وجسديا. -تشويه صورة الإسلام. -الهوى الداخلى والعرف الاجتماعى يسبقان الحكم الشرعى. -التزام فى الشكل وانحراف فى الجوهر. - أمة راكدة.	-تسلط المرأة. -سعار وأمراض جنسية. -تفكك الأسرة وضياح الأولاد. -تراجع الزواج. -أطفال منفلتون. -انتشار العنوسة والطلاق والتحلل الخلقى. -انتشار الاغتصاب والمخدرات. -أمم فاسدة.	-ثقة المرأة بنفسها، مكرمة ممن حولها. -توازن وتكامل وتعاون بين الرجل والمرأة. -أسرة مستقرة. -أطفال مبدعون. -تقدم حضارى يجمع بين الرقى الروحى والأخلاقى والعلمى والجسدى والاجتماعى والإنسانى. -أمة رائدة

أرجو أن يكون قد اتضح مرادى من المقام والمهام على مستوى التنظير والتطبيق على واقعنا المعاصر، بألامه وآماله.

الفصل الأول: خطاب التأسيس للمقام والمهام:

أعنى بخطاب التأسيس أن أخطب من لا يؤمن بوحى ولا يلتزم بنص، بما نتفق عليه بالرؤية البصرية والأدلة العقلية ونتائج الأبحاث العلمية، وأعتقد أن هذا الفريق ليست عنده مشكلة فى مقام المرأة فهى عندهم مساوية للرجل أو تتجاوزه، وتتركز المشكلة إذن فى عدم الاعتراف أن مهام المرأة لا تتطابق أبدا مع مهام الرجل، فهى عندنا لا تتطابق لكنها تتفق وتختلف وتتكامل، وهى عندهم تتطابق تماما فمن حق المرأة - كما ينادون - أن تتساوى مع الرجل فى كل شيء، وعقدوا لذلك مؤتمرات^(٤)، وأسسوا هيئات ليصلوا إلى تطابق الرجل والمرأة فى المهام، وإلى هؤلاء أسوق الأدلة الحسية والعلمية الدالة على وجوه الاختلاف فى التكوين الجسمى، والعقلى، والنفسى، كما يوضحها الجدول التالى^(٥):

م	نوع الاختلاف	الرجل	المرأة
الجسمانى والعضوى			
١.	القوة البدنية	أقوى، حيث تزيد ٣٠%، والجزء العلوى	أضعف، حيث تقل ٣٠%، و ٥٠% فى

المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

		فى الرجل أقوى ٥٠% من المرأة	الجزء السفلي
٢.	الخلايا	تحتوى على الكروموسوم Y.	تحتوى الكروموسوم X وهو يزيد ١٤ ضعف عن كروموسوم الرجل Y
٣.	نشاط الخلايا	لو نشط عند الرجال بنفس النسبة عند النساء لهلك الرجال.	عدد الموروثات الفاعلة من الكروموسوم X يزيد ١٤ ضعف
٤.	الدماغ	أكبر ب ١٥% وعدد الخلايا أكثر ب ١٥%، كثافة الخلايا العصبية أكثر ب ١٣%، حجم خلايا الدماغ يزيد ٣٠%، الشق الأيمن من قشرة الرجل أكثر سماكة من الشق الأيسر	لا يوجد فرق بين شقى الدماغ
٥.	الوزن والطول والعظام	أكثر وزنا وأطول بـ ١٠% عظامه أقوى وأطول.	أقل وزنا وأقصر بـ ١٠%. تختلف عظامها عن عظام الرجل، مما يجعل رأسها أقصر ووجهها أعرض ونقنها أقل حدة.
٦.	النحافة والرشاقة	أقل نحافة ورشاقة	أكثر نحافة ورشاقة.
٧.	وظائف فريدة	لا توجد.	الدورة الشهرية، الحمل، الإرضاع.
٨.	الجلد	أكثر خشونة وبه شعر كثير وأكثر تأثرا بالبرد	أكثر نعومة وقليل من الشعر، وأكثر مقاومة للبرد.
٩.	درجة الحرارة	درجة حرارة يد الرجل أعلى ب ٢,٨ درجة فهرنهايتية.	درجة الحرارة الداخلية أعلى بنسبة ٠,٤ درجة فهرنهايتية.
١٠.	كريات الدم الحمراء	أكثر ٢٠%، تجعل عنده جلد في العمل.	أقل ب ٢٠%، فتجعلها تتعب بسرعة.
١١.	حجم القلب	أكبر ٢٥%.	أقل ٢٥%.
١٢.	عدد ضربات القلب	٤٢ خفقة فى الدقيقة.	٨٠ خفقة فى الدقيقة.
١٣.	ضغط الدم	أكثر ١٠ ملليمتر زئبق.	أقل ١٠ ملليمتر زئبق
١٤.	حجم الرئتين	أكبر ٢٥-٣٠%.	أقل ٢٥-٣٠%.
١٥.	حجم الكبد	أكبر ٢٠%.	أصغر ٢٠%.
١٦.	كتلة العضلات	أكبر ٥٠%.	أصغر ٥٠%.
١٧.	قوة العضلات	أكبر ٢٠%.	أقل ٢٠%.
١٨.	نسبة الدهون	١٠%	٢٢%
١٩.	الغدد الصماء	تفرز هرمونات تؤثر على التكوين	يختلف تركيب الجهاز العصبى لدى المرأة



		الفسولوجي، وتمنح الرجل قدرات تعينه على تحمل الأعباء الشاقة والأعمال الثقيلة.	مما يجعلها أكثر رهاقة في الحس وقدرة على بذل المشاعر بصورة قوية.
٢٠	التنفس	أقل سرعة لكنه أكثر امتصاصا للأكسجين وإطلاقا لثاني أكسيد الكربون	أسرع ولكنه أنقص كيمالويا
٢١	من أعراض البلوغ	ظهور اللحية والشارب، والاحتلام	بروز النهدين، بدء الحيض
الفكرى/العقلي/الذهنى			
١.	الرؤية	تتسم بخاصية الرؤية الأمامية الطويلة فيدركون الكليات	تتسم بخاصية الرؤية الجانبية العريضة فيدركون التفاصيل أكثر
٢.	مدى الرؤية	الاهتمام أكثر بالمستقبل، ويتفوق فى تقدير الأبعاد والمسافات	الاهتمام أكثر بالحلول اليومية، والجوانب الغريزية خاصة فى البحث عن الأمان والرعاية
٣.	التعبير عن العواطف	عملية التفكير فى العاطفة موجود فى الجانب الأيمن، أما النطق فى الأيسر فيصبح من الصعب جدا على الرجل التعبير عن عواطفه بالكلمات، بسبب أن عدد الألياف الواصلة بين الجانبين أقل.	أقوى وأسرع لأن عدد الألياف التى تصل الجانبين أكثر (مثل خطوط الكهرباء والإنترنت).
٤.	جوانب النبوغ فى التفكير	يستخدم الجانب الأيسر من مخه أكثر فيجيد لغة الأرقام، والتحليل، والترتيب، و القرارات، والتخطيط	تستخدم الجانب الأيمن من مخها أكثر فتتبع فى العاطفة، الخيال، الإبداع، التناسق، الألحان، الذوق
٥.	النضج العقلي	ينضج الرجل بعد سنين طويلة حتى يصير عاقلا حكيما	تنمو مواهب المرأة فجأة وتتضح بسرعة عجيبة
٦.	منهجية التفكير:		
●	الوصف الدقيق	أقل	أقوى
●	التحليل العميق	أكثر قدرة على التحليل واستنباط الأسباب والعلل	أقل قدرة فى التحليل العميق واستنباط الأسباب والعلل
●	الحلول المناسبة	أكثر قدرة على اقتراح الحلول المناسبة	أكثر قدرة على تنفيذ الحلول المناسبة
٧.	التفوق الدراسى	أكثر تفوقا فى الفيزياء والرياضيات	أكثر تفوقا فى اللغات والتاريخ والجغرافيا
٨.	التفوق فى العلوم الشرعية	انفرد الرجال فى تاريخنا - فى حدود ما أعلم - بالتصنيف والتأليف فى علم	شاركت المرأة فى رواية الحديث، قال الحافظ الذهبي: "لم يؤثر عن امرأة أنها

	أصول الفقه.	كذبت في الحديث".
الانفعالي النفسي		
١.	مدى الاعتماد على النفس أو الغير	يحب أن يثبت نفسه بما ينتج. وتحب أن تثبت نفسها باعتمادها على الرجل وبالتعبير عن عاطفتها.
٢.	حب المغامرة	الميل للعنف وحب المغامرة. يمتلك طبائع أرق وألين.
٣.	استعمال الحواس الجسدية عند الكلام (Body language)	أقل في استعمال الحواس عند التعبير عن انفعالاتهم لديهم منطقة في المخ لاستعمال الحواس عند التعبير والانفعال.
٤.	الجهاز الحافى (Limbic System) المسئول عن العواطف والغرائز	أصغر عند الرجل، فنقل عنده ملاحظة التغيرات العاطفية. أكبر عند المرأة مما يولد حسا مرهفا بملاحظة التغيرات العاطفية بأى شكل لفظى أو حسى أو حركى.
٥.	مدى الاستقلالية أو الارتباط بالآخر	يميل للاستقلالية والسيطرة، فيحب أكثر المرأة المطيعة. تميل إلى أن يقدرها الرجل لذاتها لا لمكانتها الاجتماعية أو لإنجازها، وهى أكثر قدرة على الارتباط والرعاية، وتحقر الرجل الذى تديره كيف تشاء.
٦.	المؤثرات النفسية	العمل والكدح. العادة الشهرية، النفاس، الحمل، الولادة، الرضاعة.
٧.	الاحتياجات النفسية الأساسية	أ. الثقة. ب. القبول. ج. التقدير. د. الإعجاب. ر. الإقرار. س. التشجيع. أ. الاهتمام والرعاية. ب. الفهم. ج. الاحترام والكلمة الطيبة. د. الأولوية والأفضلية. ر. الإثبات. س. الرعاية والدعم.
٨.	الانفعالات وردود الأفعال	أ- الضعف: يكرهه ولا يفرق بين العطف والتعاطف. ب- النصيحة: يعتبرها تحكماً واتهاما. ج- العطاء: يعتبره إثباتا للذات ويحبه. د- الحياة: ينظر إليها بطريقة هرمية أ- الضعف: تحبه وتريده ولا تمنع أن تعترف بضعفها. ب- النصيحة: تعتبرها مشاركة واهتماما. ج- العطاء: تعتبره خسارة. د- الحياة: تنظر إليها بشكل أفقى على



رأسية، على أنها منافسة وتحدٍ وصراع للوصول إلى النجاح. هـ- عند الضغوط: يود الراحة والهدوء. و- عند الخلاف: يود أن تُسمع تفسيراته ز- عند القلق: يحتاج إلى الخلوة.	أنها صداقة، وتأزر ومحبة وعلاقات اجتماعية. هـ- عند الضغوط: تود التحدث والاهتمام. و- عند الخلاف: تود أن تُفهم مشاعرها. ز- عند القلق: تحتاج إلى التحدث والتعبير عن مشاعرها.
يخطط للمشكلات والآلام قبل وقوعها.	تخشى وتتوهم المشكلات والآلام قبل وقوعها.
أقل عند الرجل، فيندر أن يتزوج رجل مبصر امرأة ضريرة أو عوراء أو مريضة مرضا مزمنًا ليكفلها ويرعاها.	أكثر تضحية إذا أحببت، فيكثر أن تتزوج المرأة بالضرير والأعور والمريض مرضا مزمنًا.
إذا دخل الخوف على حب الرجل قتله.	يندر أن تحب المرأة بدون خوف أو قلق أو جزع.
بطيء في الانفعال ويتدرج شيئًا فشيئًا	انفعالها فجائي ويولد قويا.
بتحليل ٣ آلاف رسالة من الرجال تبين : أ- ٨% إحساس ضعيف. ب- ٦٦% إحساس معتدل. ج- ٢٤% إحساس شديد. د- غير موجود.	بتحليل ٣ آلاف رسالة من النساء تبين: أ- ٢% إحساس ضعيف. ب- ١٧,٩% إحساس معتدل. ج- ٧٣,٦% إحساس شديد. د- ٦,٥% إحساس مرضي.. أطلق "أوجست كونت" على النساء لقب: "الجنس الحساس".
تظهر أكثر خارج البيت لمواجهة الصعاب.	تظهر أكثر داخل بيتها.
الكبر والعجرفة والعطرسة.	العُجب والاختيال وحب الظهور.
الهندام أمر تكميلي للرجل.	الهندام ضروري للمرأة، وكأنه عضو جديد للنساء!.
يحب الإطراء على عقله أكثر من جسده.	تحب الإطراء على جسمها أكثر من عقلها.
يغار الرجل متى أحب.	تغار المرأة من غير أن تحب.
الحب جزء من حياته.	الحب كل حياة المرأة.
أكثر رعاية لأولاده من بعيد بالكفالة والتوجيه.	أكثر رعاية للأولاد من قريب، بالعناية والرعاية والاحتضان.
أكثر حبا للوطن ككل.	أكثر حبا للأماكن التي فيها ذكريات .

٢٢	التأثر بالرؤيا أو اللمس	أكثر تأثرا بما يراه.	أكثر تأثرا بما تلمسه.
٢٣	الخوف والحياء	أقل.	أكثر.
٢٤	العدل والإحساس	العدل فضيلة الرجل.	الإحساس فضيلة المرأة.
٢٥	شهوة الكلام	. أقل عند الرجل (بمعدل ٨ آلاف كلمة في اليوم). يقول "أراسموس": في مضمار براعة اللسان كل سبعة رجال يعادلون امرأة واحدة.	. أكثر (بمعدل ١٨ ألف كلمة في اليوم).
٢٦	النهوض بالواجبات	لا يتضح الواجب له جليا إلا استوعبه بعقله.	لا يتضح الواجب لها جليا إلا إذا لامس قلبها.
٢٧	الإقدام والإحجام	أكثر جرأة وإقداما.	أقل إقداما وأكثر إحجاما .
٢٨	الإحساس بالجمال	يؤثر الرجل النافع المفيد على الحسن الجميل	تؤثر الحسن الجميل على النافع المفيد.
٢٩	البكاء	قليل البكاء حتى في النوازل	كثيرة البكاء حتى في التوافه

قراءة تحليلية وصفية:

أولاً: هذه الفروق السابقة هي الأصل، وتردُ عليها استثناءات تؤكد القاعدة، فإذا قلنا، إن فريقاً رياضياً تفوق على فريق آخر، فلا يعني هذا أن كل فرد من أفراد الفريق الأول يفوق كل فرد في الفريق الثاني، وهو نفس الأمر في الفوارق بين مدرستين، فتفوق مدرسة على أخرى لا يعني أن كل طالب فيها أفضل من كل طالب في الأخرى.

ثانياً: هذه الفروق الهائلة الجسمية والعقلية والنفسية توجب أن يكون ثمة اختلاف في المهام التي تركز على القدرات والملكات والاستعدادات الفطرية الربانية، فكيف نجعل للمرأة نفس مهام الرجل وهي أضعف بدناً وأقوى عاطفة، وهي تحيض وتحمل وترضع، والرجل يسعى ويكدح ويكسب، لماذا لا يتكاملان وأحدهما يدرك الكليات والآخر لا تفوته التفصيليات؟! حيث يدرك أحدهما الأبعاد والمسافات الأمامية وتترك المرأة الأبعاد العرضية ليصنعا معا الرؤية المستقبلية. لماذا لا يتكاملان وأحدهما أوعى في الاحتفاظ بالمعلومات والذكريات والآخر يحلل ويضع الحلول المناسبة؟!، إننا نتفق تماماً مع ما يقوله الشيخ الشعراوي رحمه الله: إذا انقسم الجنس إلى نوعين فلا بد أن توجد سمات ومجال للرجل، وأن توجد سمات ومجال للمرأة، ولو كان المجال واحداً لاكتفى الحق سبحانه أن يجعل الجنس واحداً^(١)، "إن الخطأ كل الخطأ أن يراد من المرأة أو يراد لها أن تأخذ موقفاً من



المواقف لم تنتهياً ولم تخلق له^(٧)، قال الشاعر:

هل السمع بعد العين يكفى مكانها أم العين بعد السمع تهدي كما يهدي

"من يريد أن يسوى بين الرجل والمرأة فى كل شيء كمن يريد أن يجعل العينين مثل الأذنين، والأذنين مثل العينين، ويجعل الليل والنهار شيئاً واحداً، مظلماً أو منيراً دائماً"^(٨).

ثالثاً: أريد أن أزيد هذه الفروق فى المهام وضوحاً وجلاءً حتى لا يبقى دليل لدى الناعقين فى الباطل، المقلدين للغرب، المنبطحين على الأرض، المتسولين للغير، الداخلين جحر الضب، المتمردين على الرب، بهذه الجداول التى أوردها من الواقع الغربى رغم إلحاحهم بشدة على مبدأ المساواة المطلقة فى المقام والمهام، على النحو التالى^(٩):

عدد معلمي ومعلمات المرحلة الثانوية حسب الجنس والمادة التعليمية فى اسكتلندا ٢٠٠٣م		
المادة التعليمية	عدد ونسبة المعلمين	عدد ونسبة المعلمات
اللغة الفرنسية	٢١٥ ٢٠%	٨٣٩ ٨٠%
الاقتصاد المنزلي	٣ ٠,٥%	٨٨٩ ٩٩,٥%
الفيزياء	٦٦١ ٧٨%	١٩٠ ٢٢%
التعليم المهني	٥٨٨ ٩١%	٥٥ ٩%

هذا الجدول فى اسكتلندا لا يختلف كثيراً عن النسب الموجودة فى أوربا^(١٠)، وأمريكا واستراليا، حيث نرى تفوقاً للنساء فى الوظائف المتعلقة المرتبطة بفطرتها وطبيعتها وهى تعلم وتعليم اللغات والاقتصاد المنزلي بينما تتضاعف القدرة لدى الرجال فى تعلم وتعليم مواد الفيزياء والرياضيات، ويزيد هذا الأمر تأكيداً ما نراه رأى العين فى المجتمعات الغربية كلها من احتفاظ الرجال بأكثر من ٩٠% بالمواقع العليا مثل رئاسة الدول والحكومات والوزارات والشرطات والمصانع والجيش، وهذا المجتمع نفسه يؤكد أن دور المرأة فيما يتعلق بحضانة الأولاد والتمريض والسكرتارية أكثر تفوقاً من الرجل أداءً، وتحفظ بنسب عالية توظيفاً، وإليك هذا المثال من المجتمع الأمريكى^(١١):

جدول معدلات ارتفاع وظائف المرأة على الرجل في الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٩٧-٢٠٠٦م)		
الوظيفة	نسبة النساء	نسبة الرجال
السكرتارية	٩٦,٧	٣,٣
حضانة الأطفال	٩٤,٦	٥,٤
صالونات التجميل	٩٢,٩	٧,١
التمريض	٩١,٧	٨,٣
مدقق حسابات	٩٠,٣	٩,٧

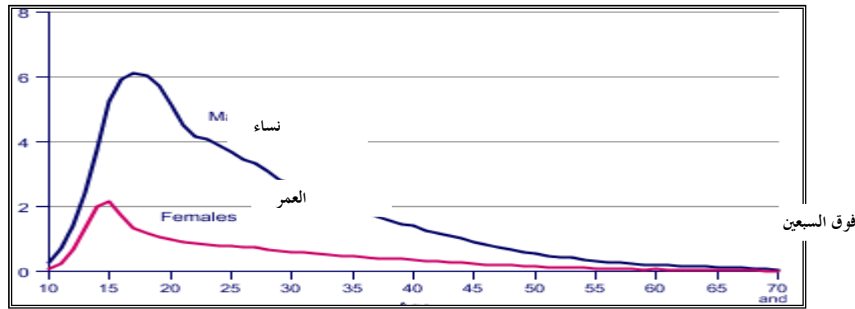
هذه هي المرأة أسبق في وظائف السكرتارية وحضانة الأطفال والتمريض وصالونات التجميل وتدقيق الحسابات بنسبة ترتفع عن ٩٠% . على الجانب الآخر نجد عدد الذين حصلوا على بكالوريوس في الهندسة حوالي ١٣ ألف من النساء فقط، مقابل حوالي ٥٣ ألف من الرجال، وحصل ٧ آلاف من النساء على درجة الماجستير و ٢٦ ألف من الرجال، وحوالي ١٠٠٠ من النساء على درجة الدكتوراه، بينما ٥٠٠٠ من الرجال قد حصلوا على درجة الدكتوراه في الهندسة^(١٢).

مما يدل على أن الدعاوى الصحفية والمواد القانونية لم تُلغ هذه الفروق الجوهرية الطبيعية والفطرية بين الرجل والمرأة، وهاهي الولايات المتحدة بعد أكثر من قرنين لم تظفر امرأة برئاسة الولايات المتحدة الأمريكية، ورغم محاولات السيدة "هيليري كلينتون" مستفيدة من مكانة زوجها وبياض بشرتها إلا أنها رسبت بجدارة أمام الأمريكي الأسود "أوباما"، فعن أي مساواة يتحدثون وهم الذين لم يعطوا المرأة حقها في مجرد الانتخاب، إلا بعد أوائل القرن العشرين، وجهاد ميرر، وخوف على أصوات الناخبين والناخبات، فحرك منطق الخوف، وجلب النفع إعطاء المرأة بعض حقوقها كما يذكر الفيلسوف الفرنسي "هنري ماريون" في فصل مليء بالأسى تحت عنوان: "تاريخ الحركة النسائية في العصر الحديث"، من كتابه خلق المرأة^(١٣)، وقد عرض لذلك في فرنسا وإنجلترا

والمستعمرات الإنجليزية والدول الإسكندنافية والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا والنمسا وروسيا، بما يدل على أن الإسلام وحده الذى أنصف المرأة سلفاً دون مطالبة ومغالبة امرأة واحدة على أنه حق وليس منحة من أحدٍ أو جهة.

رابعاً: تدل الإحصاءات العلمية أن هذا الاختلاف الواقعى يتجاوز المهام النافعة إلى الجرائم الهابطة حيث تدلنا هذه الإحصاءات إلى اختلاف جوهري بين الرجال والنساء فى نوع ونسبة الجرائم، يبدو ذلك من الإحصاءات التالية:

○ نسبة الجرائم بين الرجال والنساء فى المملكة المتحدة عام ٢٠٠٦م:



○ وإذا أردنا أن نعرف نوعية الجرائم واختلاف نسب الرجال عن النساء فى ارتكابها فيمكننا مطالعة الجدول التوضيحي التالي^(١٤):

جدول نوعية الجرائم فى بريطانيا بالنسبة لنوع مرتكبها			
الدولة	الجرائم	عدد النساء	عدد الرجال
المملكة المتحدة	تجارة المخدرات	١٠,٠٠٠	٧٠,٠٠٠
	العنف	١٨,٠٠٠	٨٠,٠٠٠
	السرقه وتجارة البضائع المسروقة	٥٠,٠٠٠	١٢٠,٠٠٠

هذه الإحصاءات ناطقة بذاتها على حجم الاختلاف بين الجنسين، وأن الرجال أكثر جرأة وإقداماً، والمرأة أكثر حياءً وأقل إحجاماً؛ ولذا ترتفع نسبة الجرائم كما وكيفا فى الرجال، ولا يخفى على من يدرسون علم الإجرام أن نسبة القتل بالوسائل العنيفة (الضرب، الطلقات النارية، الآلات الحادة، الخ..) من خصائص الرجال، وإذا قتلت المرأة فتتميل إلى استعمال السم وأغلب جرائمها هى الاحتيال وحيازة الأموال المسروقة والبغاء^(١٥).

خامساً: إذا أردنا أن نقطع الشك باليقين بالأدلة العقلية البحتة فإن تكامل الزوجين الذكر والأنثى هو أساس الحياة كلها، يبدو ذلك فى الأمثلة القطعية التالية:

(أ) لا يمكن أن نحصل على الكهرباء إلا بالتماس بين السالب والموجب، فإن عزلت أحدهما عن الآخر، أو وصلت سالبا بسالب أو موجبا بموجب لن تتبعث الكهرباء، بل ربما يحدث تفجيراً أو أضراراً بالغة، تماماً كما يتوقع من إشاعة الجنس المثلّى أو الشذوذ الجنسي.

(ب) لا يمكن أن تتجاذب المواد المغناطيسية الموجبة إلا إلى جسم آخر يحمل شحنة سالبة، فإذا وضعت الموجب مع الموجب أو السالب مع السالب فيحدث التنافر بينهما.

(ج) تتكون الذرة فى أية مادة من ثلاثة أجزاء:

- بروتون، ويكون فى نواة الذرة، ويكون دائماً مشحوناً بشحنة موجبة .
- النيوترون، ويكون فى نواة الذرة، ويكون دائماً مشحوناً بشحنة متعادلة.

● الإلكترون، ويكون فى مسارات مختلفة تدور حول النواة، ويكون دائماً مشحوناً بشحنة سالبة. وهذه العناصر السالبة والموجبة تتكامل حيث يدور الإلكترون حول البروتون والنيوترون برابط ذرى وفق نظام دقيق لا يتخلف ولا فى حالة واحدة. وهكذا تتكون كل المواد فى الكون، من جسم الإنسان إلى النجوم البعيدة، من نوعين من الجسيمات الدقيقة هما الإلكترونات والكواركات. وتكوّن الكواركات بدورها جسيمات أكبر، تنقسم إلى نوعين هما البروتونات والنيوترونات. ولالإلكترونات والكواركات خاصية تسمى الشحنة الكهربائية، حيث تحمل الإلكترونات الشحنة السالبة، بينما تحمل الكواركات إما الشحنات السالبة أو النوع الآخر من الشحنات الذى يسمى الشحنة الموجبة. وتساوى الشحنة الموجبة على البروتون الشحنة السالبة على الإلكترون، والشحنات المتضادة، أو غير المتشابهة — السالبة والموجبة — تتجاذب، بينما تتنافر الشحنات المتشابهة — الموجبة والموجبة أو السالبة والسالبة^(١٦).

(د) يحدث يومياً فى مختلف أرجاء العالم حوالى ٤٤٠٠٠ عاصفة رعديّة و ٨٠٠٠٠٠٠٠ وميض برقى. التفريغ الكهربائى البرقى هو انتقال الشحنة الكهربائية الموجبة أو السالبة من منطقة فى السحابة إلى منطقة أخرى أو بين السحابة والأرض^(١٧).

(هـ) فى عالم النبات تعرف الذكورة والأنوثة فى الأشجار والنباتات والفطريات والبكتيريا بحيث لا يمكن أن تستمر الحياة بدون نبات، ولا نبات بغير الزوجين الذكر والأنثى^(١٨)، إذا كان هذا هو



ناموس الكون ونظام الحياة الذى عبر عنه القرآن: ﴿ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴾ (النجم: ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يس: ٣٦)، وعليه يجب التسليم بالتساوى فى المقام والتكامل فى المهام بين الزوجين، وعدم إباحة الشذوذ الجنسي، أو استغناء جنس عن آخر؛ فهذا - قطعاً - عكس الناموس الرباني.

أحسب أن لغة التأسيس هنا التى اعتمدت على دليل الحس والعقل والإحصاءات والأبحاث العلمية توصل كل منصف إلى صحة النقل عن الوحي الرباني قرآناً وسنة كما قال تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ (آل عمران: ٣٦) .

سادساً: يأسف الإنسان كثيراً عندما يضطر أن يثبت طلوع الشمس فى رابعة النهار، والدافع لذلك ليس لونا من الاجترار؛ وإنما إذا كثر العميان فإنك يجب أن تقدم لهم من الأدلة العقلية ما يجعلهم يوقنون أن هناك شمسا تنزغ فى كل صباح، وأن هناك قمرا يظهر كل ليلة، وهما متكاملان تكامل الليل والنهار، الهواء والماء، الغذاء والكساء، الكسب والتعلم، جلب النفع ودفع المضره، كل هذا يساعد فى إكمال وتوازن نظام الحياة، كما قال تعالى: ﴿ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ۗ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ (السجدة: ٧)، وقال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۗ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿١٠﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿١١﴾

(الرعد: ٨-٩)، فأبى سبحانه إلا أن يكون وحده كما قال: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾ (الإخلاص: ١-٤)، أما غيره فكل شيء أزواج، كما قال سبحانه: ﴿ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ (الذاريات: ٤٩)، والذى أعجب له أن دعاء المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة لا يمكن - إن أنكروا حقائق القرآن والسنة - أن ينكروا هذا الاختلاف المرئى الذى نراه بأعيننا، نسمعه بأذاننا، نحسه بأيدينا أن هناك اختلافاً بين الرجل والمرأة. وأنه مهما كثر الجدل وامتد الأجل سيقى الرجل رجلاً والمرأة امرأة، وفى كل بلاد العالم حتى الآن توجد قوانين غير مكتوبة (unwritten rules) فحمايات النساء غير حمايات الرجال، فلا يليق ولا يقبل من أحد أن يدخل فى مكان الآخر؛ ولذا أستطيع أن أقول لكل من فيه مسكة من عقل، أو مسحة من إنصاف، إن الحقيقة الربانية فى هذا هى قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾

(آل عمران: ٣٦) .

سابعاً: أعتقد لو أن هذا النص القرآني السابق سبق لبعض الناس على أنه نص لأحد الفلاسفة أو الباحثين أو الدارسين بناء على الحقائق السابقة لصدقها على الفور، لكن هؤلاء يرفضون بشدة هذه الحقيقة فقط لأنها وحى من السماء، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۗ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (الزمر: ٤٥)، فخصومتنا مع هؤلاء هي: هل العقل كافٍ شافٍ في إحداث توازن وإيجاد نظام عادل بين الرجال والنساء، الأغنياء والفقراء، الأقوياء والضعفاء، الحكام والمحكومين؟ والذي أقطع به من الاستقراء أن هذا مستحيل لأمرين أساسيين:

(أ) محدودية العقل تماماً كما لا يستطيع الإنسان أن يرى خلفه، ولا أن يعرف ما وراء الحجرة التي يجلس فيها، وإن سلطت الكاميرا على جزء فتغيب عن أجزاء.

(ب) أن الأحكام العقلية يغلب عليها أن تنتسب بهوى صاحبها أو أصحابها، فعندما يحكم الرجال يظلمون النساء، وإذا تحكمت النساء هضمت الرجال، وإذا حكم الأغنياء أنهكوا الفقراء، وإذا حكم الفقراء أضروا بالأغنياء.

أما الأحكام الربانية فهي نبع صاف، ودواء شافٍ، وغذاء كافٍ، وتوازن كامل؛ لأنها صادرة من الحكيم العليم العدل البر الرحيم، القائل: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ (النحل: ١٧).

الفصل الثاني

خطاب الترسيع للمقام والمهام

المرأة كما أرادها الله تعالى في كتابه الكريم

ألتزم بمنهجية في كل قضية وهي أنني كلما ألتحت على فكرة أتفرغ لقراءة القرآن كله متتبعا هذه الفكرة فقط، وأقوم بختمة كاملة لا يشغلني غير هذا الأمر، وقد أخذت هذا النهج حيث إنني وجدت أن البحث المعجمي لا يكفي، بل يؤدي إلى أخطاء علمية فادحة لا يصلح معها البحث العلمي الدقيق، وإن كانت تسعف الإنسان في خطبة أو درس أو خاطرة، لكنها غير منهجية ولا دقيقة



للأسباب الرئيسية التالية:

١. انتزاع الكلمة من سياقها مما قد يؤثر قطعاً على فهم المراد من هذه الكلمة، ومن الأمثلة على ذلك:

(أ) أن البحث في قضية المرأة كزوجة بالطريق المعجمي الخالص يمكن أن يدخل الإنسان فيها كلمة أزواج الواردة في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَبِيَّةً أَرْوَاجٍ﴾ (الأنعام: ١٤٣)، رغم أنها تتحدث عن الزوجية في الأنعام، في الضأن والمعز والإبل والبقر.

(ب) وكذلك كلمة الحمل إذا أغفلنا السياق فستختلط الأوراق، فلا يمكن أن نفهم معنى كلمة حمل إلا من خلال السياق، مثل قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾ (الرعد: ٨)، والآية: ﴿وَتَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ (النحل: ٧)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْأَخْرُ إِنِّي أَرْنِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا﴾ (يوسف: ٣٦)، فحمل الأنثى غير حمل الأنعام، غير الرجل الذي يحمل فوق رأسه خبزاً.

٢. أن القضية يمكن أن يجرى تناولها بالألفاظ وأساليب تختلف عن الألفاظ التي يتوقعها الباحث وعلى سبيل المثال إذا أردنا أن نبحث في فكرة واحدة — كما فعلتُ — في معنى الإنفاق في سبيل الله، فإننا قد نبحت معجمياً بالمواد التالية: (أنفق، أعطى، تصدق، زكاة، أقرض، بخل، أمسك،...)، كل هذه الألفاظ لو اجتهدنا في حصرها فإننا سنجد موضعاً مثل قصة الأبناء الذين تعاهدوا أن يغيروا منهجية أبيهم في البذل عند الحصاد فأقسموا أن يجمعوا الثمار ولا يستنتنون فقيراً ولا مسكيناً، فصارت حديقتهم كالصريم، كما جاء في سورة القلم، هذه القصة كلها لن نجدها في البحث المعجمي، وإنما نجدها مع ختمة التدبر لكل فكرة موضع بحث وتمحيص، وسوف يبدو ذلك جلياً بإذن الله في بحثنا، وأن القراءة المتأنية لكل آية بحثاً عن صورة المرأة كما وصفها وأنزلها الله في كتابه.

٣. أن اللفظ نفسه قد يستعمل لأكثر من معنى، وهو ما يسمى المشترك اللفظي، فإذا أردنا أن نبحث عن الأمومة في القرآن الكريم فلن يدخل فيها قطعاً قوله تعالى: ﴿فَأُمَّهُ هَٰوِيَةٌ﴾ (القارعة: ٩)، والمقصد بأمه هنا رأسه، حيث يُكَبُّ الكافر على وجهه في نار جهنم والعياذ بالله، وأيضاً قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ (القصص: ٥٩)، ليست ذات صلة بالأمومة، وكذلك "أم القرى" و"أم الكتاب".

٤. أن من جمال اللغة العربية التي بها نزل القرآن استعمال الضمير عطفًا على لفظ سابق اختصارًا، وإذكاءً للعقول أن تظل حاضرة مستتبطة إلى أي شيء يعود الضمير، فعلى سبيل المثال لا الحصر، جاء في القرآن لفظ "زوج" بين الرجال والنساء فقط (٦٩) مرة، على حين جاءت الضمائر عائدة على الزوجية أكثر من مائتي مرة، كما وردت مادة الطلاق في القرآن (١٥) مرة، على حين ورد الضمير عائداً على الطلاق أو المطلقة (٥٦) مرة على الأقل. وبشكل عام ورد الضمير الذي يشير إلى المرأة إجمالاً في القرآن أكثر من (٦٠٠) مرة، على حين لم يزد عن (٤٧٥) مرة في النص الجلي.

ومن هنا أحب أنؤكد على إخواني الباحثين والباحثات ألا يتعجلوا في البحث، وأن يستسهلوا النظر باللجوء إلى المعاجم المفهرسة للقرآن أو السنة أو غيرها سواء عن طريق الكتب أو الشرائط الممغنطة التي غمرتنا الآن، فذلك قطعاً يساعد كثيراً لكنه ليس شافياً ولا كافياً ولا عادلاً للأسباب السابقة.

إن صلاحية هذه المنهجية "ختمة تدبر" لفكرة واحدة موضع بحث علمي، أو لتتبع فكرة واحدة في القرآن كله مرهونة بأن يدخل الإنسان بقلب مسلم صادق مع ربه، يطرح كل ما ورثه من أعراف وما درسه من أفكار وما نشأ عليه من ثوابت، وما تشبع به من هوى، وما تشربه من كثرة الاجترار، ليدخل إلى القرآن خالي الوفاض، تاركاً للقرآن الكريم أن ينقش بحروف من نور الصورة الحقيقية لتتحول الصورة إلى عقيدة، وتصير في حسه ووجدانه وعقله وقلبه وذرات جسمه ونظرات عينيه وبنات عقله هي المعايير الكبرى، وهي المرجعية الأولى، ثم بعد هذا الترتيب الدقيق يعود على نفسه أولاً، ويكره على مجتمعه ثانياً؛ لكي يحملهم بالحكمة والموعظة الحسنة والدعوة الرشيدة لينتقلوا جميعاً معه من المعايير الأرضية والأهواء الفردية والأعراف الاجتماعية إلى أن نعيد صياغة أنفسنا ومجتمعنا لنتحول إلى الصبغة الربانية، والشرعة الإسلامية، والسنة النبوية، ولن يتم ذلك إلا عبر مسارين ضروريين متكاملين لا يصلح أحدهما دون الآخر، وهما العلم الذي يعالج الشبهات، والمجاهدة التي تعالج الشهوات. ولكي ننتقل من التنظير المنهجي إلى التطبيق الواقعي على هذه القضية السارية وهي قضية المرأة، فلندخل فوراً إلى رحبة القرآن، ومنحة الرحمن، لنعيد صياغة عقل الإنسان وفق مراد الله لا الهوى أو الشيطان.

وبالاستقراء الدقيق والتدبر العميق نجد أن المرأة في القرآن الكريم قد ورد ذكرها بألفاظ وأساليب عديدة يبدو بيانه في حدود ما بذلت فيه قصارى جهدي، واستفراغ وسعي في استقراء كل ما يتصل بموضوع المرأة في القرآن الكريم، لكن هذا الاجتهاد لا يعني أن هذه الأرقام قطعية وإنما



تقريبية، وإن كانت لا تبعد عن هذه الأرقام كثيراً، بإذن الله .

وفي الجدول التالي نتائج هذا الاستقراء:

م	اللفظ ومشتقاته	عدد المرات	م	اللفظ ومشتقاته	عدد المرات
النص الجلي					
(١)	امرأة	٢٦	(٢)	أيامي	١
(٣)	أنثى	٣٠	(٤)	صاحبة	٤
(٥)	نساء	٥٩	(٦)	حلائل	١
(٧)	السيدة مريم	٣٤	(٨)	ربائبكم	١
(٩)	أم	٢٧	(١٠)	الأرحام (رحم المرأة)	٦
(١١)	والدة	٤	(١٢)	المحيض	٤
(١٣)	بنت	١٩	(١٤)	الحمل	٨
(١٥)	أخت	١٤	(١٦)	الرضاعة	١٢
(١٧)	عمة	٣	(١٨)	التي	٥
(١٩)	خاله	٣	(٢٠)	اللاتي	١٠
(٢١)	فتيات	٢	(٢٢)	اللاتي	٤
(٢٣)	إماء ، ملكت أيما نكم	٢ ، ١٥	(٢٤)	صفات متعددة للمرأة	٨١
مجموع النص الجلي = ٤٧٥					
التضمين الجلي					
م	اللفظ ومشتقاته	عدد المرات	م	اللفظ ومشتقاته	عدد المرات
(١)	زوج	٦٩	(٢)	طلاق	١٥
(٣)	النكاح	٢٣	(٤)	ذو القربى	١٦
(٥)	الوالدين	٢٣	(٦)	الأقربون	٧
(٧)	الآباء	٦٨	(٨)	الأرحام (الأقارب)	٥
(٩)	الذرية	٣٢	(١٠)	اليتيم	٢٠
(١١)	الولد	٤٤	(١٢)	الأهل	٧٢
مجموع التضمين الجلي = ٣٩٤					
التضمين الخفي					
(١)	حروف وضمائر تشير إلى المرأة بشكل عام	٢٨٠	(٢)	ضمائر تشير إلى السيدة مريم	٧٥

٥٦	حروف وضمائر تشير إلى المطلقة	(٤)	٢٠٨	حروف وضمائر تشير إلى الزوجة	(٣)
مجموع التضمين الخفى = ٦١٩					
المجموع الكلى للمرأة فى القرآن = ١٣٧٨					

قراءة وصفية تحليلية:

أولاً: من الأمانة العلمية أن أشير إلى أننا نجد المرأة فى نصوص القرآن فى ثلاثة أنواع من الخطاب الرباني:

١. التضمين العام، وهو الذى تدخل فيه المرأة مع الرجل فى أى خطاب قرآنى، ويعبر عنه باللفظ أن النساء مستورات فى الرجال فى الخطاب الرباني، فإذا قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتَقُؤا رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُؤا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)، توجه الخطاب قطعاً إلى الرجل والمرأة، وإذا قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَتَقُؤا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (الأحزاب: ٧٠)، فلا يشك أحد أن الخطاب متوجه لهما معاً، وهذه تخدم قطعاً قضية المقام حيث يتساوى الرجال والنساء فى هذا التكليف الرباني، إلا ما ورد تخصيصه بما يتناسب مع المهام، ومن الأمثلة قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (الجمعة: ٩)، هذا النداء موجه على سبيل الوجوب للرجال لكن المرأة لا جمعة عليها؛ إذ قد لا تستطيع أن تترك أولادها أو والديها أحياناً، فكان تخفيفاً من الله حيث ترك لها الحق فى الخروج لصلاة الجمعة دون أن يفرض عليها، لكن هذه الأحكام هى استثناء من الأصل العام أن الرجل والمرأة سواء فى الخطاب الرباني، وأن المرأة مشمولة مضمونة فى كل خطاب عام للإنسان، سواء ورد فى القرآن أو السنة.

وهذا الجانب المتضمن بشكل عام لا يمكن إيراد هنا لكنه يؤكد على هذا المعنى الإنسانى فى القرآن الذى خاطب الرجل والمرأة كإنسان يحمل صبغتي التشريف والتكليف فى الوقت نفسه، فمن التشريف قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠)، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ



إِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ (الحجرات: ١٣)، ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَءَاتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالصَّرَاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۗ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٧٧) .

٢. النص الجلي، وهو أوضح صور التعبير عن المرأة كما سبق، حيث يرد بالألفاظ التالية ومشتقاتها: امرأة، أنثى، نساء، السيدة مريم، أم، والدة، بنت، أخت، عمه، خالة، فتيات، إماء، ملكة أيمانكم، أيامي، صاحبة، حلائل، ربائبكم، الأرحام (رحم المرأة)، المحيض، الحمل، الرضاعة، التي، اللاتي، اللاتي، صفات للمرأة. وهذه قد وردت ٤٧٥ تقريبا.

٣. التضمين الجلي، لا يشك عارف باللغة أن الأمر ببر الوالدين يعني الأب والأم، وأن لفظ الأولاد يعني الذكور والإناث، يقول الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ (النساء: ١١)، وقوله تعالى: ﴿وَالأَبَوِيهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ﴾ (النساء: ١١). سواء كان ذكرا أو أنثى، وقوله تعالى: ﴿إِنْ أَمْرٌؤَا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أختٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ﴾ (النساء: ١٧٦)، ومن المنفق عليه أن الأخت لا تأخذ النصف إلا إذا لم يوجد فرع وارث من الأبناء أو البنات مثل الابن والبنت، وابن الابن وبنت الابن. ومن هذه الألفاظ أيضا كلمة اليتامى التي فيها تضمين جلي، كلمة "اليتيم" وتعني من فقد أباه وأمه أو أحدهما سواء كان ولداً أو بنتاً، بل قد يرد مقصوراً على البنت، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ﴾ (النساء: ٣)، ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿وَدَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۗ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ﴾ (النساء: ١٢٧)، ومن التضمين الجلي أيضا ألفاظ: زوج، النكاح، الوالدين، الآباء، الذرية، الولد، طلاق، ذو القربى، الأقربون، الأرحام (الأقارب)،

اليتيم، الأهل، فمن ذا الذى يشك أن البر والصلة والإحسان واجب للأرحام والأقربين رجالاً ونساء؟! والجدير بالذكر أن هذا التضمين الجلى عن المرأة قد ورد فى القرآن حوالى ٣٩٤ مرة .

٤. التضمين الخفى، هو أحد ثمرات الاستقراء لكل آيات القرآن الكريم، فسنجد أن هناك آيات بكاملها لا يوجد فيها لفظ واحد مما يدخل فى النص أو التضمين، ومن ذلك قوله تعالى فى سورة الأحزاب: ﴿ تَرْجَى مَنْ نَشَأُ مِنْهُمْ وَتُعْوَى إِلَيْكَ مَنْ نَشَأُ وَمَنْ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا تَحْزَنَ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْنَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥١)، ومنه ما يأتى كثيراً وفيراً عطفًا على كلمة فى أول الآية، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرَ أُولَىٰ إِلَازِمَةٍ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يُضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١)، فـ "نون" النسوة أو الضمائر؟ هنا تكررت ٢٤ مرة فى آية واحدة، عطفًا على كلمة المؤمنات، فهل يجوز هذا الإهمال لهذا الكم الوفير من الحروف أو الضمائر؟، وهى إما فاعل حقيقى للأفعال فى ألفاظ مثل: "يغضضن"، "يحفظن"، "يبدين"، إلخ... أو مضاف إليه فى ألفاظ مثل: "أبصارهن"، "فرجهن"، "خمرهن"، "زينتهن"، "آبائهن"، إلخ...، وقد ورد فى القرآن التضمين الخفى مشيرًا إلى المرأة حوالى ٦١٩ مرة .

ثانياً: اقتصرنا فى هذا الجدول على إيراد وتعداد المواضع التى تشير إلى المرأة رغم أن اللفظ قد يشير إلى أكثر من ذلك، ومن الأمثلة على ذلك ما يلى:

١. كلمة أهل، لم أعتبر هذه الكلمة إلا إذا كانت تشير نساء إلى المرأة سواء كانت زوجة مثل قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِ إِنِّي آنستُ نارا سَعَاتِكُمْ مِمَّا يُخْبِرُ أَوْ آتِيكُمْ بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ (النمل: ٧)، أو كانت تعنى المرأة كعضو فى الأسرة، كقوله تعالى: ﴿ شَعَلْنَا أَمْوَالَنَا

وَأَهْلُونَا ﴿(الفتح: ١١)﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَبِي مِّنْ أَهْلِي﴾ (هود: ٤٥) أى من أسرتى، وقوله تعالى: ﴿مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ﴾ (المائدة: ٨٩). وقد تكون المرأة جزءاً من العشيرة أو الأسرة الكبيرة أو المجتمع، كما فى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ (النساء: ٧٥). واستبعدت ما جاء بمعنى الجماعة أو الفئة مثل يا أهل الكتاب وأهل الذكر، وكذا "أهل" بمعنى صاحب أو أصحاب مثل أهل التقوى أو أهل الكهف.

٢. حذف أيضاً من ألفاظ التضمين الجلى ما يشير إلى أن الكلمة مخصصة بالسياق للذكر، مثل كلمة ولد مخصصة بالسياق للذكر دون الأنثى، مثل فى قوله تعالى: ﴿وَسَلِّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ١٥)، لأنها سيقف عن سيدنا يحيى عليه السلام، وكذلك فى قوله تعالى: ﴿وَأَسَلِّمْ عَلَى يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم: ٣٣). أن هذا من قول سيدنا عيسى عليه السلام.

ثالثاً: وإذا كانت المرأة مشمولة فى الخطاب العام ومنصوص عليها نصاً جلياً أو تضميناً جلياً أو خفياً بما يزيد على (١٣٧٨)، فإن هذا يدل بجلاء على هذه العناية الإلهية الفائقة بالنساء والمرأة، ونحن فى الواقع نتحدى أن يوجد كتاب يمثل مرجعية لأية أمة أو حضارة فيه مثل هذا الاهتمام الكبير، والإلاح الكثير مما يدل على الوزن الثقيل لمكانة المرأة فى الإسلام بما لا يجوز معه أن نقبل مزايده من المتحليلين والمتأمريين الذين يريدون أن يخدعوا المرأة والرجل والمجتمع بأنهم حماة المرأة، المدافعون عن حقوقها، المناضلون عن مكانتها، الساعون إلى التمكين لها، كما لا يقبل فى الوقت نفسه هذا المستوى من الإهمال والتحجر فى التعامل من بعض التيارات والقبائل الإسلامية، وتعزو ذلك - جهلاً - إلى القرآن والسنة النبوية.

رابعاً: يزيد هذا الأمر وضوحاً هذه الصفات الرائعة التى وصفت بها المرأة فى القرآن الكريم، وقد جاءت فى ٨١ مرة أوصاف عديدة فى المرأة القليل منها سلبي، والكثير منها إيجابي، والدليل الإحصائى على ذلك أن هذه الأوصاف السلبية للمرأة لا تتجاوز (١١) موضعاً فى القرآن الكريم كله، مثل: متبرجات، مسافحات، مشركات، منافقات، الخبيثات، السارقة، حمالة الحطب، الخوالب، الزانية، الخ... أما الصورة الرائعة والناصعة فهى التى تنطق بها آيات القرآن فى (٧٠) موضعاً على الأقل، وأهم هذه الصفات: المؤمنات، المحصنات، الطبيبات، الصالحات، الصابرات، الحافظات لفروجهن، الخاشعات، المتصدقات، قانتات، حافظات للغيب، صديقة، تمشى على استحياء، عابدات،

مهاجرات، تائبات، مطهرة، حرث لكم، إلخ...، وهى مسألة تقطع دابر الخلاف لكل منصف أن صورة المرأة المتكررة هى الصورة الراقية، ومن واقعية القرآن وصف حقائق المجتمع حيث لا يخلو أى مجتمع من الخارجين على القانون والأعراف والأخلاق.

خامسا: ما لا يجب أن يسمعه المتحاملون والعلمانيون والزاحفون وراء الغرب دون عقل يفكر أو قلب يخشى لقاء الله، هو أن الصورة السائدة للمرأة فى القرآن هى أنها زوجة وأم، وليست كادحة، عاملة فى الشركات فى الزراعة والصناعة والإدارة، ومن الأدلة القطعية على ذلك ما يلي:

أ. أول ذكر للمرأة فى ترتيب القرآن جاء بها زوجة مطهرة فى الجنة، ثم أول ذكر للمرأة فى الدنيا قوله تعالى: ﴿أَسْكَنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥). وآخر ذكر للمرأة لزوجة أبى لهب، وهى وإن كانت معه فى النار، لكنها كانت زوجة.

ب. الزوجية ومتعلقاتها هى الصورة الغالبة عددا ومعنى، حيث ورد لفظ "زوج" (٦٩) مرة بنص مباشر، بالإضافة إلى ضمائر تشير إلى الزواج تزيد عن (٢٠٠) مرة، وورد النكاح (٢٣) مرة، وهذا يؤدى إلى وجود أبناء، فوردت كلمة أبناء حوالى (٤٤) مرة، والذرية (٣٢) مرة، ويتحول الأزواج إلى آباء وأمهات، وقد ورد ذلك فى القرآن الكريم أكثر من (٩٠) مرة، ولفظ الأم أتى (٢٧) مرة، والوالدة (٤) مرات، ويرد لفظ المرأة كثيرا بمعنى الزوجة مثل قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَاتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (آل عمران: ٤٠)، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لِمَرْأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ (يوسف: ٢١) أى لزوجته، كما أن لفظ النساء يأتى كثيرا بمعنى الزوجة، مثل قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ (البقرة: ٢٢٣)، وقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ (النساء: ٤٣)، ويضاف إلى هذا ما جاء متعلقا بما يستكن بالأرحام وما تحمل من أنثى والرضاعة والحيض، حتى الطلاق هو دليل على وجود زوجية سابقة، بما يجعلنا نقول لكل من أراد أن يكون منصفا للمرأة أن يوفر لها إطاراً أسرياً آمناً، من أب يحسن رعايتها، وزوج يحسن عشرتها، وولد يحسن برها، وأخ يحسن حمايتها. هذه هى الصورة التى رسمها القرآن الكريم للمرأة لإصلاح الرجل والمرأة والطفولة والمجتمع كله.

ج- هذه الصورة المتكررة الذائعة عن المرأة كزوجة وأم ومربية، وليست موظفة خارج المنزل التى تزيد عن (٩٠٠) موضع فى القرآن الكريم يقابلها حالات شبه استثنائية تؤكد القاعدة يمكن حصرها فى مواضع ثلاثة هي:

١. قصة امرأة عمران: فى لحظة تجرد وصفاء مع الله تعالى قالت امرأة عمران: ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي ۗ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (آل عمران: ٣٥). بمعنى أنها وهبت بأحسن ما تحب وهو أن يكون ولدها خادما فى المسجد الأقصى، توقعا منها أن يكون ولدا وهنا يحكى القرآن: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ۗ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٣٦). وهذا يدل على أن الهبة التى قدمتها لم يعد لها محل حيث إن المولود أنثى، والأنثى لا تتحمل بنص الآية هنا من المهام ما يتحمله الرجل، ولا يجوز حمل الآية هنا إلا على المهام دون المقام، منعا لشبهة التعارض بين النصوص والأحكام، وهذا يؤسس لمنهجية أن المرأة تختلف عن الرجل فى المهام. وإن تساوت معه فى المقام.

٢. ابنتا الرجل الصالح^(١٩): لقد دهش سيدنا موسى عليه السلام عندما ورد ماء مدين، ووجد امرأتين تزدوران، فكان سؤاله: ﴿ مَا حَظُّكُمَا ﴾ (القصص: ٢٣)، وهذا يعنى غرابة أن تقوم النساء برعى الغنم، وقد عبر القرآن عن ذلك بالخطب وهو دائما الأمر الجلل. وكان الجواب رائعا حيث أجابتا بالأدب قبل السبب فقالتا: ﴿ لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصَدِرَ الرِّعَاءُ ۗ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ (القصص: ٢٣)، أى نلتزم أدب الخروج فى عدم مزاحمة الرجال ومخالطتهم، وسبب خروجنا عدم وجود عائل قادر على الكسب بسبب شيخوخة الأب، وهنا يقول الشيخ الشعراوي^(٢٠) - رحمه الله -: "الضرورة هى التى أخرجت البنيتين لسقى الماشية، وليس معنى الاضطرار أن تفرضنا نفسيهما رجلاً وتتزاحما مع الرجال، فالاضطرار له حدود، فوقفنا بعيداً إلى أن يصدر الرعاء، ووظيفة المجتمع الفاضل أن يسارع إلى قضاء حاجة المرأة حتى ترجع إلى مكانها فلا يستغل فرصة الخروج ويماطل معها"

هذه هى المروءة التى قام بها سيدنا موسى عليه السلام عندما وجد امرأتين تحاولان سقى غنمهما بادر إلى المساعدة المتجردة الراقية وليست المساعدة المغرضة الهابطة لأهداف شيطانية، بل سقى لهما ثم انحاز عنهما، ولم يفعل كما يفعل بعض شباب ورجال اليوم مع النساء من تقديم خدمات، تتبعا مباحكات وحكايات واحتكاكات وضحكات ومحرمات، لكنه: ﴿ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ (القصص: ٢٤). فجاءه الحلال الصافى يطرق بابه: ﴿ جَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ ﴾ (القصص: ٢٥).

وهذا يفيد الإباحة مع التزام الشروط والآداب الشرعية، قال الزمخشري في تفسيره: " إِنْ قِيلَ: كَيْفَ سَأَغَ لِنَبِيِّ اللَّهِ الَّذِي هُوَ شُعَيْبٌ عليه السلام أَنْ يَرْضَى لِبِنْتَيْهِ بِسَقَى الْمَأْشِيَةِ ؟ قِيلَ لَهُ: لَيْسَ ذَلِكَ بِمَحْظُورٍ، وَالَّذِينَ لَا يَأْبَاهُ ؛ وَأَمَّا الْمَرْوَّةُ فَالْنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ فِي ذَلِكَ ، وَالْعَادَةُ مُتَّبَاعَةٌ فِيهِ ، وَأَحْوَالُ الْعَرَبِ فِيهِ خِلَافٌ أَحْوَالِ الْعَجَمِ ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ الْبَدْوِ غَيْرُ مَذْهَبِ الْحَضَرِ ، خُصُوصًا إِذَا كَانَتْ الْحَالَةُ حَالَةَ ضَرُورَةٍ ^(٢١) ."

لكنه لا يفيد الوجوب الذي تطلع به هيئة الأمم والمنظمات النسائية والمؤتمرات الدولية التي تسعى إلى تمكين المرأة من الوظائف العامة مع الإهمال الجسيم لتحقيق المرأة رسالتها الأولى وهي الزوجية الراقية، والأمومة الفاتحة لتربية أجيال تصنع الحياة وفق منهج الله تعالى.

٣. قصة ملكة سبأ: التي اهتدت بكياستها وفطنتها ومشورتها إلى هذه النتيجة الإيمانية، قالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (النمل: ٤٤). هذه الحالة التي استغرب لها بشدة الهدهد أكثر من استغرابه من عبادتهم الشمس، فيرى بعض العلماء واقعة عين أو شرع من قبلنا الذي جاء نسخه في شرعنا بالحديث الذي رواه البخاري بسنده عن أبي بكره نفيح بن الحارث أنه قال: لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل، لما بلغ النبي ﷺ أن فارسا ملكوا ابنة كسرى قال: " لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة " ^(٢٢) ، اتسع الخلاف حول دلالة الحديث لكنى أستطيع أن أقول في زماننا: لو وجدت امرأة في مثل هذه المرأة في قوتها وذكائها وحكمتها ولن تقصر في رسالتها الأولى زوجة وأمًا فلا يبعد والحالة هذه - جائزة - حتى يقبض الله لهذه الأمة رجالا يحكم وفق الأصل العام وليس الاستثناء الخاص، وللشيخ الغزالي رحمه الله رأى معتبر حول هذا الحديث يحتاج إلى حوار ومناقشة حيث يراه خاصا بواقعة الدولة الفارسية، وليس عاما للأمة الإسلامية مستأنسا بأن القرآن قد حكى قصة الملكة بلقيس التي قادت قومها إلى الإسلام مع سيدنا سليمان عليه السلام، فلو وجدت قيادة من امرأة حكيمة مثلها فلا حرج بدلالة القرآن وتوجيه الحديث على أنه تفسير لواقعة عين في الدولة الفارسية ^(٢٣) .

ننتهى إذن إلى أن هذا الإلحاح المستمر يؤكد أن مهمة المرأة الأولى الزوجية والأمومة والذي تكرر مئات المرات لا يمكن أن يعارضه حالة مثل ملكة سبأ، بل تؤيده قصة امرأة عمران، وبنتي الرجل الصالح بشكل يجعلنا نقول لا حرج على المرأة إن استوفت دورها لزوجها ولأولادها أن تخرج لشيء من العمل خاصة فيما يحتاجه المجتمع من تمريض، وتطبيب، وتدریس، ورعاية شئون الأرملة واليتامى، والتزام الآداب الشرعية في الحجاب السابغ ملبسا، وعدم الخضوع بالقول صوتا، وعدم الخروج بدون إذن الولي وجوبا، وعدم الضرب بالأرجل مشيا، وعدم الخلوة بأى



رجل - غير محرم - عامة، على أن تظل المرأة منصفه من نفسها إن رأت أن عملها خارج المنزل يستنفد طاقتها ويستهلك قدراتها فلا بد أن تكون شجاعة في اتخاذ قرارها سأكون كما قال نبيي وشفيعي ﷺ في حديثه الذي رواه البخاري عن أبي هريرة قال: (نساء قريش خير نساء ركنن الإبل، أحناء على طفل، وأرعاه على زوج في ذات يده) (٢٤) .

سادسا: إذا سلمنا عقولنا وقلوبنا لوحى الله عز وجل وآيات كتابه المحكم سنجد أن المرأة دائما داخل محضن أسرى رائع ورائق، يبدو ذلك من شواهد عديدة خلال الإحصاء والاستقراء والتدبر، فيما يلي:

١. أمنا حواء هي زوجة حنون مع أبينا سيدنا آدم ﷺ، سكنت معه الجنة، وأكلا منها رغدا، وتوجه التكليف لهما معا ألا يأكلا من الشجرة، فنسيا وأكلا معا، وانكشفت سوءاتهما معا وتابا معا، وهبطا إلى الأرض معا، وأنجبا معا البنين والبنات، وعمرا الأرض بالذرية.

٢. شاركت سارة زوجة سيدنا إبراهيم ﷺ أفراده وأترابه؛ لأنه كان يحنو ويغشق عليها الحب والفضل فأحبهته حتى زوجته هاجر التي طوعته في كل ما أمره به ربه، وأكرما الضيوف معا وتلقى البشارة بإسحاق معا.

٣. وهبت امرأة عمران ما في بطنها محررا، فذكرت مريم في القرآن الكريم أكثر من (١٠٠) مرة باسمها، وعظفا عليها بالضمير، وهي التي يتسابق أهلها وأسرتها على كفالتها وفاز بها زكريا ﷺ وأعجب بقنوتها وعبادتها، وهي التي استنكرت بقوة أن تحمل بغير زوج فطمأنها ربه وهيا لها من غدیر الماء ورطب النخل ما يُغنيها، وصارت أما فريدة في تاريخ العالم، رمزا للعفة والطهارة والعبادة والتسليم لأمر الله وحسن التربية.

٤. وفي القرآن نجد الأم الرعوم لموسى ﷺ التي تتخفى بفطرتها لتحفظ وليدها وتلقى بولدها في اليم امتثالا لأمر ربه، وظل قلبها بين جناحي طائر، فأرسلت أخته تتعقب أثره وتعرف خبره فما استراح قلبها إلا بعد أن ضمت موسى لقلبها، وأرضعته لبنها، وأورثته مكارمها.

٥. وفي القرآن أيضا ابنتا الرجل الصالح يلتزمان الأدب ويذكران السبب الذي اضطرها للتكسب فأغناهما موسى ﷺ مؤنة الكسب وتزوج إحداهن وسارا معا في طريق وعر إلى سيناء، وأنسا من جانب الطور نارا فما كلف امرأته استجلاب قيس من النار، فذهب وحده يجلب لها الدفء، ثم عادا معا ليكمل رسالته مع الفرعون معاونة له في كل شيء.

٦. وهى أيضا زوجة فرعون التى تدرك أنها ليست أمة له، وإنما أمة الرحمن فلا تجاربه فى ظلمه، وتدعو ربها أن ينجبها من عمله، وأن يبنى لها عنده بيتا فى الجنة.

٧. وهى فى القرآن أيضا ملكة ذات عقل وحكمة ورأى ومشورة ظلمت نفسها وعادت إلى ربها ولم تسلم لسليمان عليه السلام وإنما أسلمت معه لرب سليمان عليه السلام، وأنت بقومها إلى رحبة الإيمان، فأى ذكاء عقل ونقاء قلب وصفاء صدر أرقى من ذلك!!؟.

٨. وهامى زوجة سيدنا يحيى عليه السلام مع زوجها يسارعان فى الخيرات ويدعون ربهم رغبا ورهبا وكانا له خاشعين.

٩. وهامى زوجة سيدنا أيوب عليه السلام ترعى ضعفه، وتطيب مرضه، وتشاركه آلامه، حتى إذا قصرت مرة فتوعدها سيدنا أيوب، فعاتبه ربه وأوحى إليه أن يبرّ بقسمه لكن مع لطف شديد، وأدب جميل.

١٠. وهامى عائشة - رضى الله عنها - زوجة النبى صلى الله عليه وسلم ينزل القرآن غاضبا لها، منصفا إياها، رافعا لهم عنها، كاشفا الفرية عليها، مخلدا ذكراها .

١١. وهامو القرآن يخاطب أسرة النبوة كلها أزواجا وبنات ونساء المؤمنين يدين عليهم من جلابيهم، ويخاطب آل البيت فاطمة وأخواتها وأسرتها - رضى الله عنهم - أجمعين بأرقى ما يجب لأسرة مثلها من حب وتقدير، وودّ وتوقير.

١٢. وتنزل سورة مختصة بالنساء وأخرى بالمجادلة خولة بنت ثعلبة التى جاءت تشكو زوجها الذى ظاهر منها، وأنزل القرآن منصفا إياها، واضعا حلا لها ولأترابها.

١٣. ومن الواقعية التى يتصف بها القرآن ما ذكره من مواقف زوجة النبيين نوح ولوط، من خيانة أسرار الدعوة؛ فكانتا من الهالكين، وهى تدل على استقلاليتها فى الكفر أو الإيمان وعدم إكراههما.

١٤. وفى القرآن أيضا امرأة العزيز تراود فتاها يوسف وتغلق الأبواب وتتهيا له فيتعفف، وتطارده وتلقى عليه التهمة، وتصصر على المأل لكنه يؤثر السجن، ثم تعترف وتتوب، وتنال فى الحلال ما لم تدركه فى الحرام.

١٥. وذكر القرآن استعلاء زينب على زيد زوجها وشكواه منها وأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يمسخها، وأمرها أن تحسن تبعلها وتقديرها لزوجها، ولم يتحمل زوجها أنفقتها فطلقها وبعد عدتها تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم.



١٦. وها هي زوجة هلال بن أمية يراها زوجها تزنى فلا يقتلها بل يرفع أمرها للقضاء وتأخذ حقها في الملاعة والقسم فتتجو من العقوبة ولا يقربها أحد رغم يقين الجميع بجريرتها.

١٧. كما يذكر أن زوجة أبي لهب تحمل معه الحطب، وتعارض معه الحق وستكون صاحبه في جهنم.

سابعاً: هذا على مستوى القصص القرآني، أما على مستوى التأصيل الشرعي فس نجد نصوصاً كثيرة تدعو إلى ارتباط الرجل بالمرأة تحت ظلال الزواج، وتؤكد على أهمية النكاح، فسد الإسلام كل أبواب الحرام، ويسر أبواب الحلال ليقى المجتمع من الانحلال. وفي تضاعيف آيات القرآن نجد المرأة والرجل صنوين ملتصقين في قوله تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ (البقرة: ١٨٧)، الرجل زارع والمرأة حرثه، والرجل راع والمرأة مكن سره، ورفق في الحيض واستمتاع بعده، ومشاورة بينهما في الفصال والفظام، وغير ذلك من شئون حياتهما الخاصة والعامة، فإن استحال الإمساك بمعروف فتسريح بإحسان، وبذل الفضل والإحسان، والتعاون وكفالة لمدة عام حتى تكفى بأهلها أو بزواج جديد، فإن أبي طلاقها خالعه وبذلت له الفداء إن كان العزوف منها.

ويؤكد القرآن على التماسك الأسرى والصلح بين الزوجين إذا اختلفا والأشقاء إذا اختصما، ويسود العفو سواء في الخصومات الأسرية أو الاجتماعية التي تصل إلى حد القصاص والجنايات.

وفي القرآن والسنة نصوص كثيرة تحدد معايير الاختيار في الزواج، وتيسير الإجراءات والتكاليف، ولم ير الوحي بأساً من أن تهب امرأة نفسها للنبي ﷺ، أو أن تلمح ابنة الرجل الصالح لأبيها برغبتها في موسى عليه.. ولا جناح على الرجال من التعريض لا التصريح في خطبة المرأة أثناء عدتها، بل لم يمنع المرأة أن تتعرض للخطاب طلباً للحلال، ومنع القرآن عضل المرأة بأن تمنع بعد طلاقها من الزواج بغيره أو أن تعود إلى زوجها الأول إذا تصالحا.

كل ذلك مرهون في الوفاق وفي الشقاق بحسن تربية الأولاد على العقيدة الصافية، والأخلاق السامية، والشريعة العادلة، يأمرون بالعدل ويبدلون الفضل وتشتد الوصاية ببر الوالدين والإحسان إليهما وخفض الجناح إليهما أبا وأماً وإحساناً إلى بقية العائلة أماً وأختاً، عمماً وخالاً، أو عممة وخالة، جدّاً وجددة، ويتمدد هذا لكل ذوى القربى والجيران والأصدقاء والخلان، ليكون الرجال والنساء جميعاً منصهرين في بوتقة الإحسان.

كما لا يفوت هذا الكمال والجمال الذي اتسم به القرآن أن يضع الحدود والعقوبات لمن اقترب السيئات وتجاوز الحقوق والحرمان ليرد المجتمع كله إلى الأمن في الحياة والنجاة بعد الممات.

ومن روعة القرآن أن رتب حقوقاً مالية جعلها واجبات شرعية على الرجال نحو نسائهم أمماً وزوجة وبنناً وأختاً فجعلها مكفولة مصونة تحظى من الرجل الرعاية والكفالة والحماية والولاية، وكأنها ملكة في كل حال، فإن مات أحدهما ورث الآخر بنظام دقيق في الميراث والوصية لا نظير له في العدل والإنصاف في قوانين العالم كله .

الخلاصة :

١. لعل جوهر الخلاف بين الثقافات والفلسفات والنظم والعقائد عن وضع المرأة في المجتمع ينبع عن عدم الاتفاق على أمرين ضروريين هما: **المقام والمهام.**

٢. المقام هو المكانة والقيمة والمنزلة، والمهام هي الوظيفة والدور والمهمة التي يجب أن يقوم بها كل من الرجل والمرأة.

٣. هناك ثلاثة اتجاهات بخصوص المقام والمهام هي: التحجر والتحلل ويأتى فى وسطهما الاعتدال، اتجاه التحجر يحتقر المرأة مقاماً، ويضيق عليها مهاماً، بينما ينفلت اتجاه التحلل فى المهام ويساويها بالرجال، وتسبقة أحياناً فى المقام، لكن ديننا الحنيف هو رمز الاعتدال يؤكد أن المرأة والرجل صنوان متساويان تماماً فى المقام، متكاملان وإن اختلفت المهام. ولكل اتجاه مظاهره ونتائجه التي تؤدي إلى أمة راكدة أو فاسدة أو رائدة.

٤. وجهت الدراسة خطابين لشريحتين من الناس، خطاب التأسيس لمن لا يؤمن بالوحي السماوى ونبدأ معه بالدليل العقلي، وصولاً إلى صحة الدليل النقلى، أما خطاب الترسخ فيبدأ مع من يؤمنون بالوحي فيرسخ لهم الإيمان بالبحث والاستقراء العقلى وفق منهجية: ﴿ **أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُكُمُ** ﴾ (البقرة: ٢٦٠). فى خطاب التأسيس هناك المئات من عناصر الاختلاف بين الرجل والمرأة، سواء الجسمانى أو العقلى أو النفسى، وقد جعلتها فى جدول محدد النقاط فى خلاصات من أبحاث علمية دقيقة.

٥. أوردت الدراسة إحصاءات فى المجال التطبيقى على أن الاختلاف فى القدرات والمهارات بين الرجال والنساء أدى فى الواقع إلى تفوق للنساء فى مجالات دراسية ووظيفية مثل مواد اللغات والاجتماعيات ووظائف السكرتارية والتدريس، كما تفوق الرجال عليهم فى مجالات أخرى مثل الرياضيات والفيزياء والهندسة والإدارة. كما أن الاختلاف ليس فقط فى الإنجاز وإنما فى الجرائم حيث يختلف الرجال عن النساء فى نسب ونوعية الجرائم.

٦. من الأدلة العقلية القطعية على أن الزوجية قانون الله الذى لا يتخلف فى أى مادة من المواد، فالذكورة والأنوثة، والسالب والموجب، حيث توجد فى الكهرباء والمغناطيسية والذرة والنبات والسحاب والعواصف الرعدية وغيرها، بحيث يستحيل نظام الكون من غير التقاء السالب بالموجب والذكورة بالأنوثة.

٧. هذه الأدلة العقلية والأبحاث العلمية والإحصاءات الميدانية تؤكد قانون الزوجية وعدم التماثل فى المهام: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ (آل عمران: ٣٦) بما يشير بقوة إلى ضرورة استصحاب الوحي لتصحيح العقل الذى لا يخلو من تشبع الهوى ومحدودية استدراكه بالصورة الكلية والتفصيلات الجزئية مما يعنى أن العقل لا يستغنى بحال عن النقل.

٨. فى خطاب الترسخ اعتمدت الدراسة "ختمة التدبير" لكل نصوص القرآن بحثاً عن المرأة، سواء كان نصاً جلياً أو تضميناً جلياً أو خفياً، فالنص الجلى مثل لفظ امرأة وأنثى ونساء وأم ووالدة، والتضمين الجلى مثل الوالدين، أبويه، زوج، النكاح، الذرية، الولد. أما التضمين الخفى فهو التعبير بالحروف أو الضمائر مثل يغضض أبصارهن، آبائهن، واستبعد الاستقراء والإحصاء الألفاظ التى وردت بلفظ يدل على الأنثى لكنه سياقاً أو دلالة لا يدل عليه مثل "أهل الكتاب"، "قأمه هاوية".

٩. ورد فى القرآن الكريم ذكر المرأة حوالى (١٣٧٨) مرة نصاً أو تضميناً مما يقطع بقمة الاهتمام الخاص بها، فضلاً عن كونها مضمنة فى الخطاب الربانى العام وفقاً لقاعدة: "النساء مستورات فى الرجال".

١٠. هناك أكثر من سبعين موضعاً توصف بها المرأة بأرقى الصفات لتترسخ صورتها فى عقول المسلمين والمسلمات أنهن خيرات بتزكية الله لهن، أما الصورة الأخرى السلبية فهى قليلة لم تزد على (١١) موضعاً.

١١. الصورة السائدة فى القرآن أن المرأة تعيش فى محضن أسرى زوجة وأماً وبناتاً وعمة وخالة على أن أوضح هذه الصور هى الزوجية، سواء فى الجانب التأصيلى فى الحث على النكاح، ومعايير الاختيار وتيسير الإجراءات وتوثيق العلاقة وحسن العشرة وتحمل المسؤولية، وتضييق أسباب الطلاق على الجانب التطبيقي فى قصص القرآن مثل: أمنا حواء، السيدة سارة، السيدة مريم، السيدة عائشة، أم موسى، امرأة عمران، امرأة فرعون، زوجة سيدنا أيوب. كما جاءت - وفقاً لمنهجية الواقعية - قصص لزوجات غير صالحات مثل: امرأة نوح، امرأة لوط، امرأة العزيز، وحالة الحطب.

١٢. إذا كان القرآن قد سوى بين المرأة والرجل في المقام بنصوص كثيرة واضحة قطعية، فلم يسو بينهما في المهام حيث لم نجد المرأة عاملة كادحة سعياً لطلب الرزق الحلال سوى في قصة ابنتي الرجل الصالح حيث التزما الأدب قبل بيان السبب في أن أباهما شيخ كبير، فكانت المروءة بكاملها من سيدنا موسى أن سقى لهما ثم تزوج إحداهما ليكفيهما مؤنة التكسب، ليعود الاستثناء إلى الأصل؛ وهو أن المرأة مكفولة من أب أو زوج أو أخ أو غيره من العصابات، ويؤكد هذا اعتذار امرأة عمران عن الوفاء بنذر ولدها في الخدمة بالمسجد الأقصى؛ لأن الذكر ليس كالأنثى. أما ملكة سبأ فهي حالة تحتاج إلى ترجيح أصولي في ضوء حديث " **لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة**" (٢٥)، وإن كانت الأدلة إجمالاً تشير إلى جواز عمل المرأة خارج البيت بشرط أن يناسب أنوثتها وألا يؤثر على رسالتها زوجة وأماً، وأن تلتزم الضوابط الشرعية في لبسها وكلامها أو الضرب برجلها وعدم الخلوة بغير محارمها.

التوصيات:

١. يجب تجديد الخطاب حول قضية المرأة بالاتفاق على موضوع الحوار، فإن كان متعلقاً بالمقام، فالرجل والمرأة متساويان، لهما رب واحد ومن أصل واحد، وكرامة واحدة، أما المهام فيتكاملان وإن اختلفا في بعض التكاليف والوظائف وفقاً لسنة التنوع والاختلاف في الجوانب الجسدية والعقلية والنفسية.

٢. يجب أن نتبنى خطابين عند الحوار هما: خطاب التأسيس وخطاب الترسيح، وخطاب التأسيس يتوجه لمن لا يؤمن بالوحي الرباني باستصحاب الأدلة الحسية والعقلية والإحصاءات العلمية، عسى أن يهتدى هؤلاء إلى الإيمان بالوحي، أما خطاب الترسيح فيعتمد على التدبر في نصوص الوحي قرآن وسنة؛ وصولاً إلى ترسيخ الإيمان وفق منهجية ﴿ **أَوَلَمْ تُؤْمِنُ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِن لَّيَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا** ﴾ (البقرة: ٢٦٠). وهذا هو أفضل أسلوب للحوار مع فريق الاعتدال في مواجهة فريق التحلل والانحلال.

٣. لا يجوز أن نهمل في تجديد الخطاب الديني، هذا الإلحاح الوفير عن المرأة في القرآن حيث ذكرت (١٣٧٨)، وأن المهام الرئيسية السائدة للمرأة هي الزوجية والأمومة، ويقوم الرجال بواجب الكفالة والرعاية والحماية والولاية والقوامة، ولا حرج من المشاركة في العمل العام بشرط أن يتوافق مع أنوثتها الرقيقة ورسالتها العريضة.



- (١) مسند الشهاب: ١/١٤٥.
- (٢) صحيح الجامع - الصفحة أو الرقم: ٤٥٦٨، خلاصة الدرجة: صحيح.
- (٣) كتاب المرأة كما عرضها الله للشيخ محمد متولي الشعراوي، مكتبة القرآن، ص ٣٦، وكتاب (القرآن الكريم معجزة ومنهاج) للشيخ متولي الشعراوي، طبعة دار الندوة الجديدة بيروت، ١٤٠٥هـ، ص ١٠٢.
- (٤) راجع المتابعة الدقيقة العميقة لهذه المؤتمرات والهيئات الدولية، في كتاب العدوان على المرأة في المؤتمرات الدولية، د. فؤاد عبد الكريم، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، سلسلة كتاب البيان.
- (٥) الفرق بين المرأة والرجل، نورهان إبراهيم عبد الله، الباحثة بمعهد ابن النفيس.
- معارك قيس وليلى، دراسة علمية مفصلة عن الفروق البيولوجية والاجتماعية بين الرجل والمرأة، ألان وبربارة، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص ٣٤.
 - حقائق علمية تكشف أوجه الاختلاف بين الجنسين
- والرجل/٤٨٠٩ <http://arb3.maktoob.com/vb/arb3>
- الماء والهواء .. المرأة والرجل ! <http://55a.net/vb/showthread.php?t=10907>
 - الاختلاف بين عقل الرجل وعقل المرأة.. معلومات وتساؤلات، الدكتور جمال الخطيب
- <http://www.dahsha.com/viewarticle.php?id=24127>
- الفرق بين الجنسين والمرأة والرجل والتأثير النفسي لهما.
- <http://www.gustvoice.com/vb/showthread.php?t=17237>
- خلق المرأة والمقابلة بين طبائعها وطبائع الرجل، هنري ماريون - يويب إميل زيدان، كلية الآداب جامعة باريس، دار الرائد - العربي - لبنان - بيروت ١٩١٨ الأولى الثانية ١٩٨٢.
 - كتاب الفرق بين الجنسين، د. صلاح الراشد، الطبعة الرابعة، ٢٠٠٦، ص ١٧-١٩، ٥٧-٧٣.
- (٦) كتاب المرأة كما عرضها الله، للشيخ محمد متولي الشعراوي، مكتبة القرآن، ص ٧.
- (٧) الكتاب السابق، ص ٢٣.
- (٨) الكتاب السابق، ص ٣٥ - ٣٦.
- (٩) <http://www.scotland.gov.uk/Publications/2005/11/11135710/57123>
- (١٠) راجع: معارك قيس وليلى، دراسة علمية مفصلة عن الفروق البيولوجية والاجتماعية بين الرجل والمرأة، ألان وبربارة، دار كنعان للدراسات والنشر والخدمات الإعلامية، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، ص ٩٨.
- (١١) <http://womeninbusiness.about.com/od/challengeswomenface/a/jobswomendom.htm>
- (١٢) لمزيد من المعلومات راجع - <http://engineering.curiouscatblog.net/2008/05/26/women-choosing-other-fields-over-engineering-and-math>

(١٣) خلق المرأة والمقابلة بين طبائعها وطبائع الرجل، هنري ماريون – يويب إميل زيدان، كلية الآداب جامعة باريس، دار الرائد – العربي – لبنان – بيروت ١٩١٨ الأولى الثانية ١٩٨٢، ص ١٠٩ – ١١٥ .

(١٤) <http://www.statistics.gov.uk/cci/nugget.asp?id=١٦٦١> .

(١٥) <http://www.alsabaah.com/paper.php?source=akbar&mlf=interpage&sid=١٨٩٩>

(١٦)

<http://www.physεarab.net/vb/showthread.php?t=٢٥٥٨٢&highlight=%C٧%E١%Dε%CD%Eε%CY%CA+%CY%E١%DF%E٥%D١%E١%D٣%CA%CY%CA%ED%DF%ED%CA>

(١٧)

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D٨%B٩%D٩%٨٤%D٩%٨٥_%D٨%A٧%D٩%٨٤%D٩%٨٥%_D٩%٨A%D٨%A٧%D٩%٨٧

(١٨) مقالة آيات معجزات من القرآن الكريم وعالم النبات للأستاذ الدكتور نظمي خليل أبو العطا على موقعه، <http://spanishsord.multiply.com/journal/item/٥٢>، ومقالته تسع معان للزوجية في القرآن

الكريم وعالم النبات،

(http://www.٥٥a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=١٧٥٣&select_page=٢٣)

(١٩) وَقَدْ اِخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ مَنْ هُوَ؟ عَلَى أَقْوَالٍ أَحَدَهَا أَنَّهُ شُعَيْبُ النَّبِيِّ ﷺ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَى أَهْلِ مَدْيَنَ وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَقَدْ قَالَهُ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ وَغَيْرَ وَاحِدٍ وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ حَدَّثَنَا أَبِي حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ الْأَزْدِيُّ حَدَّثَنَا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ شُعَيْبًا هُوَ الَّذِي قَصَّ عَلَيْهِ مُوسَى الْقَصَصَ قَالَ: "لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (تفسير ابن كثير، راجع أيضا تفسير القرطبي، والجاللين).

(٢٠) كتاب المرأة كما عرضها الله، ص ٣٩-٤٠ وكتاب القرآن الكريم معجزة ومنهاج، ص ١٠٨-١٠٩ .

(٢١) تفسير الكشاف، للزمخشري، سورة القصص، آية ٢٣ .

(٢٢) الجامع الصحيح الصفحة أو الرقم: ٧٠٩٩، خلاصة الدرجة: [صحيح]

(٢٣) السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث، للشيخ الغزالي، ص ٤٨ – ٥١، دار الشروق القاهرة، القاهرة،

الطبعة الثالثة، ١٩٨٩ م .

(٢٤) الجامع الصحيح، الصفحة أو الرقم: ٣٤٣٤ .

(٢٥) الجامع الصحيح الصفحة أو الرقم: ٧٠٩٩ .